محاضرة من ملكية الأستاذ بوغرطة حدادو

محاضرة رقم 3

نظريات الخلق

ساهمت الاكتشافات الجغرافية في معرفة العديدة من الشعوب البدائية تختلف في مبادئها الحضارية عن الحضارة الأوروبية بشكل خاص، مما نتج عنها تساؤلات فلسفية و دينية بالدرجة الأولى، ناهيك عن التصورات الخاطئة التي ميزت بعض الأطروحات في تفسير الجوانب الثقافية لهذه الشعوب البدائية، يمكننا ان نلخصها في نظريتين طبعتا فترة بداية القرن التاسع عشرة الا و هما:

النظرية الطوفانية:

اعتقد الناس في القرن الثامن عشرة ان الحفريات التي يتم العثور عليها في العديد من المواقع الاثرية من طرف الفضوليين ما هي الا بقايا لعظام لحيوانات قد غرقت خلال الطوفان الأعظم التي شهدتها البشرية فهي بالتالي تعتمد في أسس نظريتها على النص الديني (التوراة **والانجيل**) والنص الصريح الذي تطرق الى هذه المسالة هو سفر التكوين الذي اشار في فحواه: "**ان منشأ الخليقة كان بإرادة الله سبحانه وتعالى ولما غضب الله تعالى من هذه البشرية عاقبها بطوفان غمر كل الكرة الارضية**". كان هذا التفسير معقولا لدى عامة الناس خاصة وان هذه البقايا العظمية للحيوانات ما هي الا لحيوانات لم تكن بداخل سفينة سيدنا نوح عليه السلام ولم تتطرق هذه النظرة بتاتا الى مسالة كيفية خلق الانسان والإجابة على سؤال اختلاف سلالاته.

لكن مقابل هذه الآراء ظهرت فئة حاولت ان توافق بين الآراء الدينية و الاكتشافات الاثرية خاصة فيما تعلق الامر بالمعطيات الجيولوجية وما تحتويه من معلومات عن تشكل الأرض و الأصناف الحيوانية التي عثرت بين **الطبقات الجيولوجية**، لاسيما و ان اصنافها تختلف من طبقة جيولوجية الى أخرى مما اكدت على فكرة عدم غرقها في الطوفان الأعظم ضمن نفس الفترة و انما على شكل فترات متعاقبة و متباينة و متمايزة عن بعضها البعض و كان ابرز عالما الذي حاول ان يوفق بين الطرحين – **كوفييه** – الذي جمع بين اقوال التي نادت الى تنوع الخليقة عبر العصور انطلاقا من المعطيات الجيولوجية و بين الأفكار الطوفانية و كان دعاتها رجال الدين و كان موقفه إزاء هذه المسالة ان الأرض غمرتها المياه في عدة مناسبات أدى الى غرق خلائق وظهور خلائق أخرى

في مكانها. ندرك من خلال هذا التصور ان **كوفييه** لم يخرج عن الاطار الديني و لم يبقى من مبادئ هذه النظرية سوى ترتيب بداية ظهور الخليقة بحيث ان الله تعالى خلق الكائنات البحرية أولا ، الزواحف ثم الثديات.

النظرية التطورية:

أسس هذه النظرية مستوحات من **علم الطبيعة** الذي كان اول علما انفصل من النظريات الفلسفية اعتمد منهاجه على منطق الملاحظة والتجريب ومبدأ التطور على أساس **الانتخاب الطبيعي** بحيث ان الكائنات الحية التي **لا تستطيع التأقلم** مع وضعها الجديد **تنقرض** ولا يبقى منها سوى التي تملك القدرة على **التكيف** مما نتج عنها ظهور أصناف أخرى أكثر تأقلما من سابقاتها ففي هذه الحالة ظهرت أنواعا من الحيوانات حملت صفات متطورة وشهدت زوال صفات منها كانت موجودة عند اسلافها. اتسعت هذه النظرية لتشمل الجانب الثقافي والفني للشعوب البدائية لمعرفة كيف تطور الانسان ثقافيا وحضاريا وكان الفضل في ذلك الى **العالم الانتروبولوجي بيت –ريفرس** والذي استطاع ان يجيب على عدة تساؤلات التي تتعلق بماضي الأدوات الحجرية وتنوعها عبر الأزمنة فكانت البوادر الأولى لتصنيفات اثرية فتجت الباب الى تأسيس علم ما قبل التاريخ. منذ بداية القرن التاسع عشرة الى غاية سنة 1850 م وابان هذه الفترة كانت مسيرة الاكتشافات الاثرية الباليونتولوجية (الاكتشافات العظمية) قد شملت عدة مناطق من أوروبا والعالم وبشكل كثيف اذ استخرج من باطن الأرض عدة نماذج عظمية قد اندثرت منذ مدة طويلة على سبيل المثال:

- اكتشاف بمغارات المانيا على نماذج عظمية للإنسان ب -**مغارة - بافيلاند – 1822** م من طرف – **بوكلاند** و زميله – **ماكنري** – ببلاد الغال و قد تيقن هذا الأخير ان هذه الحفريات تعود الى ازمنة بعيدة و ان هذه الأدلة العظمية ما هي الا دليلا على قدم الانسان .
- مغارات بلجيكة وعلى حواف **نهر– الميز Meuse** – جمع العالم الباليونتولوجي – **شمرلينج** – على العديد من اثار عظمية للحيوانات منقرضة وأخرى للإنسان وأدوات حجرية في نفس الطبقات **الستراتيغرافية** فأدرك ان هذه المعطيات الاثرية تعود الى زمن واحد وذاع صيته سنة 1833 م لما عثر على جمجمة للرئيسيات ب- **مغارة – لياج** – حيث برهن بها على وجود الانسان بأوروبا قبل الطوفان.